

العنونة والتأويل "بايبولار" أنموذجا

أ.م.د.رباب حسين منير

كلية العلوم/ جامعة البصرة

التخصص: النقد الأدبي الحديث

ملخص البحث

يعد العنوان إيقونة لفظية تسويقية، تسهم في جذب المتلقي وإثارتها، يختزن دلالات يستقيها من عناصر عدة منها الواقع والثقافة والنص المتن، ولما كان العنوان نصا يوازي النص المتن وهما يتحاوران لتوليد الدلالات قامت فكرة البحث على تأويل العنوان لمعرفة إمكانية تأويله وقدرته على الاستبطان، ليكون دور النص المتن المساعدة على الكشف عن بواطن النص/العنوان، بجعله جزءا مما حول العنوان يحاوره كما يحاور الواقع والثقافة لنستنتقه ونستخرج دلالاته التأويلية، فنبدأ بقراءة العنوان لغويا على المستوى المعجمي ثم نتتبع ظهوره بأشكاله المختلفة في المتن ونحاوره مع سياقه لاستجلاء دلالاته الجديدة، لنعود إلى العنوان و نحاوره مع الواقع والثقافة، وقد وقع الاختيار على رواية "بايبولار" للإعلامية السعودية غادة عبود، لنجد أن العنوان هو صرخة امرأة لتفشي المرض في المجتمع في مجتمع ذكوري بامتيازو الذي يسقطه بدوره على كل فرد يحاول أن يخالف عاداته وتقاليده الاجتماعية .

Abstract

Titling and Interpretation: "Bipolar" As a Model

Assist. Professor Rabab Hussein Muneer

College of Science / University of Basra

Specialization: Modern Literary Criticism

The title is considered as a verbal and marketing icon that contributes in attracting readers and motivating them. It stores meanings that could be derived from various elements such as reality, culture and the content text. Because the title is as powerful as the content text to generate meanings, this research aims at investigating the possibility of interpreting the title and its significance to predict. This makes the body/content text assisting in revealing what the title is originally referring to, being an integral part that addresses reality and culture to arrive at a possible interpretation. We start by analyzing the title etymologically, then trace its different existence forms in the text and examine the new inferences that could be derived from the contexts. Then we go back and analyze the title in relation to reality and culture. “Bipolar” is a novel written by the Saudi media woman GhadaAbood, and the model selected in this study. We found that the title was like a feminine call or scream against the disease outbreak in the society which

in turn drops it on everyone trying to deviate from habits and social traditions.

المقدمة :

التأويل منهج يبحث عما سكت عنه النص ، عما يخفيه خلف ألفاظه . ولما كان العنوان أول عتبة يلمسها القارئ لدخول عالم النص ارتأينا البحث في دورها في الكشف عن العالم الخفي المخبوء خلفه ، لأهميتها في التأويل. فدراستنا تأويل للنص الموازي واختيرت رواية " بايولار " للكاتبة السعودية عادة عبود لتكون أنموذجا تطبيقيا للبحث فهي رواية تحمل أسلوبا مشوقا و مميزا على الرغم من انه الإصدار الأول للكاتبة التي تحمل شهادة بكالوريوس أعلام من الجامعة الأمريكية .ويجمع البحث بين التنظير والتطبيق،ففي التمهيد حاولنا استجلاء الأهمية التي يضطلع بها العنوان في التأويل ، وحاولنا رسم دائرة تأويلية تساهم في محاوررة العنوان لينطق بما لم يبيح به. ليجمع البحث بين محورين الأول نظري والآخر تطبيقي

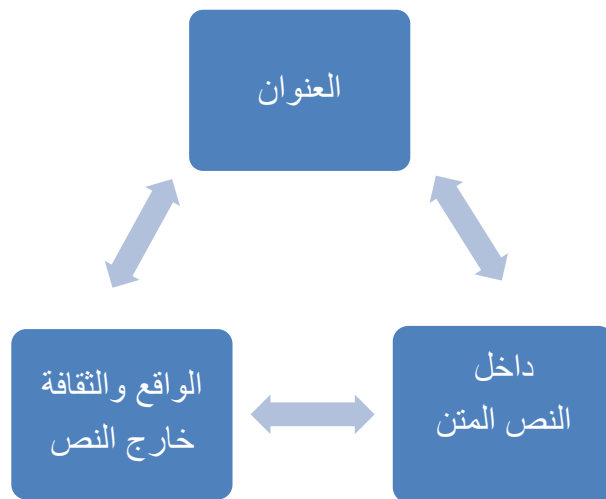
المحور الأول : تمهيد و تنظير

العنوان هو البؤرة اللفظية الأولى التي تواجهنا في النص ، فهو العنصر التشريفي الذي يساهم في إيلاجنا عالم النص و يجذبنا للإبحار في عالمه . و قد أطلق جيرار جنيت اسم المناص (Paratexte) على العنوان وهو " النص الموازي لنصه الأصلي ، فالمناص نص ولكن نص يوازي النص الأصلي ، فلا يعرف إلا به و من خلاله وبهذا نكون قد جعلنا للنص أرجلا يمشي بها لجمهوره وقرائه قصد محاورتهم والتفاعل معهم "(¹) لذا يكون اهتمام الأديب بصياغة عنصر الجذب الأول في النص وجعله عنصرا فاعلا مؤثرا في الشكل والمضمون من المسلمات " فهو ليس حلة أو زينة فقط بل هو خطاب مفكر فيه ، فمن خلاله يرسم المتلقي انطبعا أوليا تحتاج لمن

يصل إليها ويسقطها علي النص . "(٢) . ويسقط العنوان على النص ليستمر التواصل بينهما وتبادل الأدوار وصولاً إلى دلالات النص الكامنة يرفع الستار عنها ليكشف عما يخفيه ، فـ " العنوان في وجوده اللغوي الذي يتضاءل إلى حد تشكله من كلمة واحدة لا يتمكن بلغته فحسب من القيام بتلك الإنتاجية إذ ليس ثمة إلا معنى الكلمة لا أكثر ، وبالتالي [كذا] فلا بد انه ينطوي على كفاءة التفاعل مع عدد متنوع من النصوص والخطابات بما يكفل له قدرة الاضطلاع بوظائفه "(٣) فهو رسالة لغوية مترامية الأطراف ، تنسج بأطرافها المترامية عوالم تضيء بواطنه و تزيل صمته انه " رسالة لغوية تعرف بتلك الهوية وتحدد مضمونها وتجذب القارئ ، إليها ، وتغريه بقراءتها ، وهو الظاهر الذي يدل على باطن النص ومحتواه "(٤) وقد أحسن الدكتور ضياء الثامري حين شبه عمل العنوان " بعمل الطبيب الذي يستدل على المرض من حالة النبض ، العنوان هنا بمثابة نبض النص ، فهو دالة على كل شيء فيه لأنه يتحرك حركة شاملة في جميع الاتجاهات "(٥) وهو قريب إلى تشبيه نستعمله في حياتنا اليومية " أجس النبض" للتعبير عن الفكرة الأولية لرأي شخص ما ، قبل محاورته وتتبع خيوط أفكاره والتعمق فيها ، فالنص/ العنوان يمنحنا معرفة أولية تتسع وتتعمق بتتبع شرايينه داخل النص/ المتن.

ولما كان العنوان نبض النص/المتن فهو مترام في كل معالمه يظهر في كل أجزائه ويللم كل اسراره ، أنه وسيلة من وسائل قراءة بواطن النص وفك مستغلقاته و تحويل صمته إلى بوح وهذا فحوى التأويل ،فالتأويل محاولة للبحث عن الحقيقة التي هي " ما لم يقل ، بطريقة غامضة ويجب أن تُفهم في ما هو ابعد من ظاهر النص "(٦) والعنوان بؤرة نصية و "مرجع يتضمن بداخله العلامة والرمز ، وتكثيف المعنى ، بحيث يحاول المؤلف أن يثبت فيه قصده برمته كلياً أو جزئياً . انه النواة المتحركة التي خاط المؤلف عليها النسيج "(٧) ولا يسعى العنوان ليكون " حقيقة ثابتة ، بل فتحاً للباب أمام سؤال تتقاطع في رفده عدة حقول معرفية "(٨) ليتسع المعنى

ومن ثم تتعد المعاني التي لا يمكن الوصول إليها إلا باعتماد التأويل .(٩) ولما كان العنوان يحمل علامات دلالية وتكثيفية و قصدية صار " مبدأ التأويل ، إليه تشد خيوط النص و به تتأثر بنية النص وآلية استقباله "(١٠) ولا يمكن استبعاده فصلته بالتأويل صلة لا يمكن إهمالها و التغاضي عنها انه " سيميائيا العتبة الأولى ، واستهلال المعنى ، فمنه واليه يبدأ وينتهي التأويل رغم [كذا] انه قد يكون اخر ما يخطه الكاتب "(١١) ولما كان العنوان نصا موازيا للنص المتن سنعامله في هذا البحث معاملة النص الكامل ونجعل النص / المتن جزءا مما حوله يحاوره كما يحاور الواقع و الثقافة لنستنتقه ونستخرج دلالاته التأويلية . لتكون الدائرة التأويلية التي سنعتمدها بالشكل التالي:



الدائرة التأويلية للعنوان

فنبداً بقراءة النص ، العنوان لغويا على المستوى المعجمي ثم نتتبع ظهوره بأشكاله المختلفة في النص / المتن ونحاوره مع سياقه لاستجلاء دلالاته الجديدة ، لنعود إلى العنوان و نحاوره مع خارج النص (المحيط و الثقافة) لنصل إلى ما استبطنه النص /العنوان.

المحور الثاني (قراءة وتطبيق)

يختلف ظهور العنوان في العملية الأدبية فقد يحدد الأديب عنوانه أولاً ليأتي النص مبرراً و مؤلاً للعنوان وقد يدونه بعد انتهاء عملية التأليف^(١٢) وسواء دون الأديب عنوانه في بداية عملية الكتابة أو نهايتها فهو عنصر مهم قد يفصح عن قصدية المؤلف و محوره النصي و هناك من يرى أن القصدية التي يفصح عنها العنوان تستحيل بفعل الكتابة من قصدية للكاتب بعد أن كان ملفوظاً فحسب إلى قصدية للنص تتماهى معه لاغية كل صوت خارجي^(١٣) ليعمل " العنوان وفق الوظيفة الشعرية على فضاءات الإيحاء حيث [كذا] الدال لا يكف عن الانزلاق إذ يتحول كل مدلول إلى دال جديد يستمر في خرق العرف و العادة " (١٤) .

وسنبحث في عالم "بايبولار" * لكشف الدلالات المخبوءة خلف هذا العنوان بإتباع المنهج التأويلي ، ولعل من المهم القول إن المؤلفة أكدت أنها حددت الشخصيات والأحداث والعنوان قبل كتابة الرواية^(١٥) وبذا يكون النص / المتن مفسراً و مؤلاً و محدداً للمقاصد أيضاً في النص / العنوان مثلما يكون الأخير محدداً لمقاصد النص .



اطر العنوان بغلاف يحمل ألوانا تثير الانتباه هما: الأحمر، والبرتقالي ،ولم يقلل من بروزهما الأسود الذي حددت به ملامح امرأة تفرعت بعض خطوطه عبر اللون الأحمر ليرسم أغصانا فارقتها الحياة فاستند عليها غراب وطار آخر، لتلمح لحياة جمعت بين الحزن ،والحب،

الذي يبدو انه السائد فالأحمر يأخذ الجزء الأكبر من مساحة الغلاف ،أما النص/العنوان فلا يخلو من غرابة ، ولعل الكاتبة نجحت في لفت الانتباه وإثارة دهشة المتلقي ؛ فكتابة العنوان بحروف عربية فقط على الغلاف تضفي إبهاما و تجعل القارئ يتساءل عن المعنى و أصل اللفظ ،مما يدفعنا للبحث عن معناه ،يستوقفنا العرض الثاني له في أول صفحة للكتاب ؛إذ وقفت كلمة "يايبولار" المكتوبة بالعربية إلى جانب أصلها المكتوب بالانجليزية (BIPOLAR) ليزيح الإبهام ويوجه سيل التداعيات الذهنية نحو معنى اللفظ في لغته الأم، لترسلنا إلى البحث عن معناه في معاجم اللغة الانكليزية فهي مفردة تحمل معنى "ثنائي القطب، ذو قطبين" ^(١٦) وقد دون في معاجم الطب النفسي أن " هذا النوع من الاضطرابات تم وصفه بأنه له اتجاهان لوجود حالتين مناقضتين في نفس المريض حيث[كذا] يمكن أن يصاب بنوبات اكتئاب تنخفض فيها الحالة المزاجية و النشاط و التفكير ، أو نوبات أخرى من الانشراح وزيادة النشاط وسرعة الأفكار " ^(١٧) فهو مرض نفسي يقوم على التناقض الانفعالي ، يجمع بين الحركة السريعة و السكون الصارخ بين الفرح والحزن ، البكاء والضحك... الخ ، إنها الصورة المتناقضة للمجتمع الذي تمثله الذوات ، تلك الذوات التي تقف أمام المرأة مرتدية ثوب الأعراف و التقاليد و المثالية المستحيلة ، عاكسة صورة الذات المفردة التي تمج القيود وتمقتها تريد القيود بجمعها و ترفضها بتفردا تحبها في ظاهرها و تمجها وتمقتها في باطنها .

لذا ستكون غايتنا البحث عن علامات الاضطراب النفسي في النص / المتن فهي النسيج النصي المترامي للعنوان في المتن، كل ما يوازيه أو يساويه في المعنى، و كل ما يدل عليه من اضطراب وتناقضات ثنائية، باحثين عن ملامح البايبولار لا في الأشخاص فحسب بل في المجتمع معتمدين في هذا على تنويه الكاتبة الذي تلا العنوان تقول: " لا يوجد شخص مصاب باكتئاب ثنائي القطب .. إنما يوجد مجتمع بحاجة للشفاء من المعاناة فيه " (ص ٥) . و التنويه "

محاولة لتوجيه القارئ - قبل قراءته للنص - إلى حيث يريد الكاتب سعيًا من الأخير إلى التحكم بقراءة الأول للنص و بتأويله له و / أو لإبعاده عن قراءة / فهم / تأويل للنص يتوقعه الكاتب من القارئ . وقد تكون الغاية من التنويه عكس ما يعلنه المؤلف ^(١٨) فالتنويه يمكن أن يعد قصدا للمؤلف لا يمكن إغفاله فهو الوجود اللفظي لهذا القصد ، و الموجه للقارئ نحو قصد النص .

ولم تعتمد الكاتبة على العنوان الرئيس فحسب بل أودعت النص عناوين فرعية و " العناوين الداخلية كبنى سطحية هي عناوين واصفة شارحة (Meta - titres) لعنوانها الرئيس كبنية عميقة فهي أجوبة مؤجلة لسؤال كينونة العنوان الرئيس ، لتحقيق بذلك العلاقة التواصلية بين العناوين (الداخلية و الرئيسة) و النص بانية سيناريوهات محتملة لفهمه" (١٩).

[illegible]

عنوان داخلي ، تعود و قد حملت الحل بتمريرها على "غرب،غرب،غرب،غرب" وكأنها توجه أنظارنا إلى الأنموذج الغربي المتحرر من الأعراف و التقاليد التي تقيد الفرد و تحد من حريته لتصنع منه أنموذجا مضطربا يتعامل بازدواجية و يحوم بين الذات و الذوات عاكسا إنسان "بايبولار" .

٢- النص / المتن

ندخل عالم النص/المتن نبحت عن تجليات العنوان وصوره ،نتلمس خيوطه المترامية ،نبحت عن عدد المرات التي ذكر فيها لفظ "بايبولار" بحروفه العربية والأجنبية أو معناها الطبي أو المعجمي. ونجد لفظ " bipolar " بالحروف الأجنبية قد ظهر ست مرات في بداية الرواية ،في نصفها الأول الذي اندرج تحت عنوان "كوبري المربع (وسط جدة) " .

في السياق الأول للفظ يتحول إلى سمة لأهل جدة ،فالصورة التي ترسمها للتناقض الانفعالي بين أهل الشمال و الجنوب (ص٧) أهل الشمال الفرحين بالسيول لأنها غيرت نمط حياتهم التي اعتادوها والاهم أنها لم تطلهم ،وأهل الجنوب الذين علاهم الحزن للضرر الذي أصابهم إلى جانب فقرهم الرواية البطلة أنسانا واحدا تتناقضت أفعالهم بين الفرح والحزن مما جعلها تسمهم بـ "بايبولار" .

جاء السياق الثاني للفظ ليكون سمة للراوية/البطلة (ص٨) التي تنفيها وترفضها و تسقطها على المجتمع و الحياة ،ونجد التناقض في حمل الطبيب النفسي (مهنة البطلة) سمات المرض في الوقت الذي يعالجه،وقد حمل السياق الثالث للفظ (ص٩) الدلالة ذاتها ،وتؤكد الراوية /البطلة /الطبيبة النفسية أن المرض جرى تشخيصه من قبل الآخرين ، وتلجأ لدفع السمة المرضية عن مرضاها لتدفعه عن ذاتها تقول:"أريد أن أؤكد أن لا شخص مريض بالـ bipolar فهو اسم أنيق لحمله تسويقية من الشركات الكبرى لتحقيق المزيد من الملايين على حساب الأرواح التي لم

تحسن أن تتماثل لتغليب استبعاد المؤسسات الكبرى ، تلك لا زالت تحمل مشاعر ترفض الظلم لم تستطع أن تتخلص من الشفقة التي بقلبها لا تعرف كيف تخبئ دموعها حين تحزن ... أكل هؤلاء bipolar " (ص ١٢-١٣) و يؤكد هذان السياقان أن وسم الأشخاص بهذا المرض تسقيط مجتمعي لكل من يرفض الظلم الذي قد يقع بفعل الأعراف الاجتماعية ، لكل مخالف لتقاليده ، إنها وسيلة مؤسساتية للخلاص من مخالفيها و إيقاف خطرهم ، فمن يحفل بمرض نفسي ويسير وراءه لاسيما و أن مجتمعاتنا تسم المريض النفسي بالجنون غالبا .

وفي السياق الخامس تؤكد أن القصة لا تحكي عن يعاني "Bipolar" بل تحمل شعوره (ص ١٣) لترسم معانات من يحاول التغيير في الصرح المؤسساتي ، و تؤكد الدلالات السياقية لـ bipolar أن الرواية تعالج القيود التي يرفضها المجتمع/الذوات ، وتفضح أساليب الموارد لرغباته بالتححرر، والملاحظ أنها استعملت حرف (B) الكبير في السياق الأخير للفظ لتمنحه ظهورا مختلفا عن السياقات الأخرى و تبرزه بعد أن حولته إلى سمة لمن اتهم الرواية / البطلة بالمرض، وليمنح ردها القوة والوضوح " الحياة و المجتمع هما Bipolar ولست أنا " (ص ٨) .

أما ببايولار بالحروف العربية فقد اختفت من سياق النص ، و لعل الإصرار على استعمال الحروف الأجنبية لتسمية المرض داخل النص وسيلة لتوجيه الأنظار نحو الغرب حيث يمتلك الإنسان مساحة تحرر و تعبير، حيث تنكسر القيود و تهزم المؤسساتية ولا يوصف بالمرض إلا المصاب به فعلا .

لكن المعنى المعجمي للفظ "اكتئاب. ثنائي القطب" لم يختف بل تقلص إلى نصف ظهور اللفظ الأجنبي وقد حمل في السياق الأول دلالة إصابة البطلة بالمرض (ص ٨) و في السياق الثاني جاء في وصف لسمات المرض " أن مريض الاكتئاب ثنائي القطب غريب الأطوار ، فاقد لعقله ، اتبع هواه فتردى ، وما تلك النوبات إلا محاولات مضنية مستميتة مستجدية الهروب من بؤس إلى

سعادة ولو للحظات يفرضها هو..."(ص ١١) وهذا الوصف يوحي بقناعة أن الموصوف بالمرض هو شخص حاول كسر قيود المجتمع تلك القيود التي تحد من طموحه و حريته مما يمنحه الحزن، انه يطلق "صرخة" الم بعد أن ضاق الخناق عليه ؛لذا تُسقط الراوية/البطلة المرض على القارئ المتخيل "هل لازلت واثقا انك لست مصابا باكتئاب ثنائي القطب مثلي تماما ؟ "(ص ١٢) فهي على يقين انه يعاني الضيق نتيجة القيود المجتمعية ، و إن المرض وسيلة قمع بإسقاط أهلية الشخص في اتخاذ قرارات صائبة .

ولما كان مفهوم المرض يقوم على الثنائية الضدية مثل : اكتئاب/انسراح ، انخفاض النشاط/زيادة النشاط ،سناحول لملمت خيوط ثنائيات المرض التناقضية وهي ثنائيات سادت القصة بشكل لافت للنظر مثل : " المنعم / الفقير ، استياء / أمل ، نور/ ظلام ... الخ " وقد نجد صفحة أو أكثر تمثل الضد لصفحة أخرى مثل : "دائمة السقوط في الظلام . سقوط حر بطيء تكاد من بطئه تنسى انك مستمر في هبوطك ، ويخيل إليك انك وجدت القاع وقد آن لك أن تنازع من اجل بقائك وتنفض عنك هذا الطمي الذي أثقلك . ترتفع وترتفع لتهوي من جديد"(ص ٩) ، ونجد سياق الكلام ينقلب أملا في (ص ١٠) . "يعتريني فيض من نور يدفعني أن أتخلص من تلك الصخرة القابعة على صدري فأثور. اركل هنا وهناك وأنقافز على سطور المسافات .أتنفس ملء رئتي فرحة و نشوة .أترنم بها حتى أكاد أدرك خيوط نور الخلاص من نفسي .حتى يخيل إلي أنني للأبد قد أودعت بركة الطين الساحقة التي وارت وجودي الثرى" كل هذه الثنائيات تعكس الصراع النفسي الذي سببته الأعراف والتقاليد فقلبت الأمل استياءً وجعلت النور ظلاما.

ونجد الثنائيات تمثلت في شخصيات الرواية مثل شخصية البطلة/الراوية التي تعرف بنفسها فتقول : "دكتورة كرمة عبدا لودود ، طيبة أمراض نفسية ،تم تشخيصها بالـ bipolar ،مطلقة ،في الخامسة والأربعين من العمر ،تربي قط اسمه "قرمبع" ، مولعة بالوشم لم أكن أتصور أن

انتهي هكذا . لكن كل محاولة للهروب لم تأت إلا بسقوط أسرع إلى نفس النهاية"(ص٩) فهي شخصية جمعت ثنائيات ضدية كثيرة منها : المعالج/المعالج ، و الفرح/الحزن ، و الخيبة/الأمل ، الظالم/المظلوم ...الخ و شخصية الأب "عبد الودود" الرجل المزواج (ص٤٤) المهمل لابنته تقول البطلة " بيدل زوجاته ، حتى جعلني استعجل الرحيل عن هذه الجدران الخائفة التي ضمنتنا هربا منه أيضا ؟ أليس هو المسؤول عن طلاقي؟؟ كيف لم يسأل عن سعود ؟ لماذا لم ينصفني ؟ و لم يدافع عني ؟؟ ... لم يدرك معنى الأبوة يوما ... هو أب عاق يتركني لإحساسي بكل هذا الذنب وهو المذنب في حقي "(ص٤٣) و شخصية د. منال زميلة البطلة د. كرامة ، والتي تظهر مثالية مسالمة متألفة متزنة ، وهي تخفي الضد بالتصنع و عمليات التجميل لترافق د. مروان على الرغم من أنها متزوجة و تكيد للبطلة د. كرامة و توقع عليها أقصى الظلم الذي يقطع رزقها بطردها من المشفى لمجرد أنها ارتابت منها وظنت أنها قد تسقط قناعها (ص٢٥، ٣٣، ٣١، ٣٤، ١٠٤، ١٠٨) . أما د.صالح مدير المشفى و الذي يظهر متدينا و يستبطن حب المال و الشهرة على حساب الحق و الخير و الذي ساهم بظلم د. كرامة ونصر د. منال على الرغم من فهمه للحقيقة كون الأخيرة تهم احد المساهمين في المشفى (ص٢٤، ١٦، ٨٠، ٨١) وعلى الرغم من التناقض الذي حملته هذه الشخصيات نجدها مرموقة مجتمعا فالمهم أنها تظهر الاحترام للأعرف وليس حقيقة ما تستبطنه أفعالها، ولما كانوا مجلين للأعراف لم يوسموا بالبايبولار فهم جيشه .

إن الثنائيات الضدية مترامية في كل أرجاء الحياة كما في الرواية ، بل قد تُعكس الثنائيات ليكون المظلوم ظالما كما حدث مع بطلة الرواية في عملها ، وفي حياتها الشخصية فقد استحالت مذنبه على الرغم من ظلم سعود (طليقها) لها (ص٥٦-٦٩) فصار الواجب عليها أن تدافع عن نفسها فكيف تطلق في اليوم الثاني ؟!" هكذا تحولت من محققة تطلب من ذويها نصرتها إلى

مذنبه تتحسس الشفاعة لكن عن ماذا يغفرون ؟ انحسرت خطواتي إلى غرفتي كما انحسر عني غضبي و احتلني خوفي و ترددي أنا الآن مذنبه "(ص ٦٦) .

كل هذا يؤكد أن البايبولار النفسي استبطن البايبولار الاجتماعي ، ليست القصة طبية نفسية أنتجت تناقضا بإصابتها المرض الذي تعالجه ، بل مجتمع يوههم بأنه يرعى أبناءه في الوقت الذي يكبح طموحاتهم و آمالهم إن تضاربت مع أعرافه ، بل يحول المظلوم إلى ظالم ؛ لذا نرى للبطله محاولات للسباحة مع التيار تقول : " أحاول دائما أن أطفو على السطح و أكون كبقية القطيع أزاول حياتي مثلهم كآلة لا تتوقف عن الركض دون كلل أو ملل "(ص ١٥) بل وتنصح القارئ بالمواكبة و إلا أصبح بايبولار تقول : " واكب القطيع وإلا أصبحت من خوارج الزمن و المجتمع سر معهم وإلا وصمت بمرض الوجدان بتلك العقاقير في فمك ، اختن أحاسيسك الآن . إن لم تستطع فسيبلدك هذا الدواء حتى تكون مثلهم ... "(ص ١١) .

ولم تخلُ صور النص من الثنائيات المتناقضة تناقض صفات مريض البايبولار ، و تناقض المجتمع ، فمنذ الصفحة الأولى رسمت صورة وصفية تحمل ثنائية التناقض المادي و النفسي ، شمال مترف سعيد بانكسار روتين الحياة و إن كسر آمال الجنوب حيث الفقر و الحزن بوقوع كارثة السيول (ص ٨ و ٧) و ظلت الثنائية الضدية ترافق الصور على الرغم من تغيير وسائل رسمها " انفجرت ضحكا . نظرت لها بملء عيني . أطلقت ضحكاتي في وجهها كطلقات تبعثرت في أنحاء الغرفة "(ص ٣٤) إذ حولت بهذه الصورة التشبيهية الضحكة التي ترسم الفرح في النفوس إلى وسيلة للقتل حتى صارت طلقة لتشخص الدعاية و تقتل نفسها في صورة استعارية " دعابة قتلت نفسها سردا "(ص ٣٤) تحمل تناقض يجمع بين وسيلة الفرح (الدعابة) و الموت ، أما صور الرمز التي كان لها حضور مميز في النص ، اذ حولت الوشم إلى أداة لتفريغ الكبت النفسي ، حولت الألم الجسدي إلى وسيلة لكبح الألم النفسي وسيلة للهروب من

الواقع المؤلم إلى الألم الجسدي عله يكون اخف وقعا ، وكنت قد سألت المؤلفة عن رمزية الوشم فأجابت : " الوشم كان رمزا لرفضها ظروفها و محيطها و عجزها عن التعبير عن ذاتها و تغيير ظروفها ، فكل وشم يعبر عن موقف ، كانت تكرر "لعن الله الواشمة و الموشومة" ، لأنها تعاقب نفسها و تحس أنها ملعونة و مرفوضة في مجتمعها .. كأنه موقف تتمرد فيه على مجتمعها و نفسها و ظروفها "(٢١) وهي تختار " الفارزة المنقوطة لتكون وشما باللون الأسود وبحجم صغير ، بين الأذن و منابت الشعر كي لا يظهر للأعين (ص١٧-١٨) لتتحول الفارزة المنقوطة إلى رمز لذات البطلة/الراوية التي اتشحت حياتها بالسواد ، لتحاول الاختباء عن الأعين التي تبحث عن سلبياتها وتحكم على الأشخاص بظواهرهم فحسب و كأنها نكرة على الرغم من قدرتها العلمية و المهنية إنها حقا كالفارزة المنقوطة " فالكل يعزف عن استخدامها . بل أن الأكثرية تناست وجودها ضمن علاقات الترقيم رغم [كذا] أهميتها الفائقة . إنها مثلي و تشبهني ..."(ص١٧) وتؤكد الراوية / البطلة رمزياتها تقول : "هي الآن الرمز الذي يمنح الأمل لكل من يتوق إلى وضع نقطة النهاية لفصول حياته التي لطخها الحبر الأسود ، فقد ارتأى أصحاب الحملة أنك بدلا من أن تضع نقطة الآن على آخر سطر في حياتك فلنبدلها بفاصلة منقوطة و ابدأ جملة جديدة تحمل أملا عوضا عن الألم , "(ص١٧-١٨) وبعد وفاة الأب تبحث عن وشم جديد يداوي جراحها و يظهر شجاعته و قوتها كي تكتم أفواه من يضمنون أن المرأة الوحيدة ضعيفة غير قادرة على الظهور، إنه رمز آخر للذات ولعل فيه إظهارا للحصول على شيء من التحرر بمغادرة الأب الذي فهم أن الأبوة قيود تفرض لا أمانا يمنح " لم يعد هناك داع للاختفاء . أشرت إليه إلى الجزء الأيمن من رقبتى وإلى الجزء الخلفي منها ، حيث أردت أن يمتد الوشم كبيرا واضحا كالشمس يزيح مكانا لما اشعر ويعلن عنه ، ففي الإفصاح شجاعة وجلد . وردتان كبيرتان لهما لون احمر جمري ، تفتحت بتلاتهما حتى أصبحتا في ذروة نضجهما . مخلدتان حول رقبتى في ربيع عمرهما القصير ، يربط بينهما غصن اخضر يافع يتلوى في لذة كشریان يمدهما بالحياة أبدا "(ص٤٠) يختلف

الوشم هذه المرة ليتناسب والحالة النفسية و ليشكل الوشم الأول و الثاني ثنائية متناقضة تجمع بين الاختفاء و الظهور . بين الخوف و الشجاعة ترسم الأول بلون اسود الذي يحمل سمات الحزن و التشاؤم^(٢٢) و تجمع في الثاني بين الأخضر و الأحمر وهي من "خير الألوان للإعلان"^(٢٣) كما أن " ثمة دلائل على فعالية اللون الأحمر في الإثارة و التحريض "^(٢٤).

من هنا نجد الـ (بايولار) من خلال محاوره السياقات و الثنائيات المحاكية لثنائيات

المرض تستبطن بايولار اجتماعي يظهره و يوجه إلى معالجته ، فهو يجمع الحريات ويحد من الإمكانات الذاتية ويخلق شخصيات ازدواجية أنانية وصولية

٣- خارج النص .

ينبع النص الأدبي عموما من ذات المؤلف التي تتشكل رؤاها ومشاعرها في فلك النص ،بعد أن تنسجها بثقافتها المتأنتية من التعليم و البيئة لينتج بصمته المميزة له ، و ليبنى للنص كنهه الخاص " فالسياقات اللغوية و الاجتماعية و الثقافية المتعددة كثيرا ما تخرج النص إلى دوائر خاصة... تتعدد ... وفق الرؤى المعرفية أو الحالات الإنسانية "^(٢٥). والكاتبة (غادة عبود) سعودية من الطبقة المثقفة فقد نالت التحصيل الجامعي و عملت في الإعلام السعودي و قدمت البرامج .ولما كانت المؤلفة سعودية ، نطالع الواقع المجتمعي السعودي لمعرفة الواقع الذي تحياه الكاتبة و موقفه اتجاه المرأة تحديدا كون مؤلف النص الأنموذج امرأة . لان " المجتمع يظهر في النص الأدبي من خلال مسار تناصي ، هو المسار الحوارى الاستيعابى النقدي المعارض و المتهمم الذي تسلكه نصوص الآخر وعلى هذا بات النص الأدبي ... واقعة اجتماعية "^(٢٦).

وتحاول المرأة السعودية أن تكسر قيودا فرضها المجتمع ورضخت لها بعض القوانين فحدث

من حريتها ، كقانون ولاية الرجل الذي عدلته السعودية مؤخرا لكن ناشطات يطالبن بإلغائه^(٢٧)

لاسيما وان هناك رجالا يرفضون حصولهن على الكثير من حقوقهن و إمكانية التحكم بذاتهن، و

كان حادث إحراق سيارة امرأة سعودية بعد إقرار قانون قيادة المرأة عام ٢٠١٨ رد فعل بعضهم^(٢٨) ، ودليل التسلط والتزمت. فللقبيلة و الأعراف دور فاعل في المجتمع العربي عامة والسعودي خاصة على الرغم من فرض النخبة السياسية لتعليم المرأة على المجتمع (٢٩) . مما أنتج طبقة مثقفة و واعية لدورها و حقوقها ، وهذا يظهر رغبة سياسية في تحسين واقعها إلا أن المؤسسة الدينية و الاجتماعية المتشددة للأعراف و التقاليد تقف حائلا دون تحقيق طموح المرأة التي لم تقف ساكتة بل ظلت تطالب بحقوقها وساندها في هذا الكثير من الرجال (٣٠) المثقفين و الواعين لأهمية انغماسها في بناء المجتمع .

من هنا كانت " بايولار " صرخة امرأة متعلمة مثقفة واعية يكبلها من هم أقل وعيا منها ، إنها وسيلة للحصول على حقوقها عن طريق عرض معاناتها فالتعليم و الوظائف لا تكفي لمنحها الحق في الحياة الكريمة لوجود أعراف تكبلها و رجال يصنعون من العادات و التقاليد قيودا يحد من طموحها و يبدد طاقاتها وهو ما عانت به بطلة الرواية " د. كريمة " التي نالت نصيبها من سياط الرجال على الرغم من المستوى التعليمي الذي حصلت عليه ، فكانت ضحية رجل مزواج (الأب) وآخر عانى مرضا نفسيا (الزواج الأول سعود) و ثالث أناني مرائي (مدير المشفى د. صالح) ، ولم تسلم حتى من سياط رجال ضعفاء مثل (مريضها فيصل) . ولما كان هناك رجالا يساندون المرأة و يمدون لها يد العون في تحقيق طموحها لم تخل الرواية من هذا الأنموذج الذي حمل الحل إذ يظهر (عمر) ليكون الزوج الثاني سند البطلة في الحصول على حياة مستقرة تحقق فيها أحلامها . وبذا تكون بايولار إسقاط للمرض النفسي على المجتمع الذي حاول تسقيط كل من خالفه بوسمه بهذا المرض .

النتائج

- ١- يساهم العنوان بكشف مقاصد النصوص و بواطنها كونها تمثل نصا موازيا للنص / المتن ؛ و كونها تشكل إعلانا عن مقاصد المؤلف غالبا ، من هنا يمكن اعتماده وسيلة للفهم والتأويل.
- ٢- يمكن الكشف عما يستبطنه العنوان بمحاورته مع النص/ المتن ، من خلال تتبع مترادفات العنوان ومعانيه و سياقاته ، جاعلين النص/ المتن جزءا مما حول النص/العنوان .
- ٣- لما كان امتداد يد الثقافة و الواقع إلى جسد النص أمرا مسلما به كونهما يطبعان أثرهما على المؤلف ومن ثم على النصوص كان استقراؤها ضروريا لمحاورتها مع النص/العنوان لكشف دلالاته المخبوءة .
- ٤- من خلال محاوره السياقات و الثنائيات المحاكية لثنائيات المرض نجد العنوان يستبطن بابلولار اجتماعي يظهره و يوجه إلى معالجته ، فهو يقيم الحريات ويحد من الإمكانيات الذاتية ويخلق شخصيات ازدواجية أنانية وصولية ليكون عنوان الرواية (بابلولار) صرخة أنثوية لتفشي هذا المرض النفسي في المجتمع الذي يسقطه بدوره على كل فرد يحاول أن يخالف عاداته و تقاليده الاجتماعية .

الهوامش

- ١- عبد الحق بلعادي ، عتبات جيران جينيت من النص إلى المناص ، ط١ ، منشورات الاختلاف ، الجزائر ، ٢٠٠٨ ص ٢٨ .
- ٢- ليندة جنادي ، و هبة مفتاحي ، سيميائية العنوان في روايات محمد مفلح قصص الهواجي وشعلة المائدة ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب واللغات - جامعة الجيلاني بو نعامة خميس مليانه ، الجزائر ، ٢٠١٥ ، ص ٢-٣ .
- ٣- محمد فكري الجزار ، العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠ ، ص ٢٤ .
- ٤- بشرى البستاني ، قراءات في الشعر العربي الحديث ، ط١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ٢٠٠٢ ، ص ٣٤ .

٥- "ضياء راضي الثامري" العنوان في الشعر العراقي المعاصر أنماطه و وظائفه ،مجلة القادسية في الأدب والعلوم التربوية ، المجلد ٩ ،العدد٢(٢٠١٠) ص١٣ .

٦- امبرتو ايكو ،التأويل بين السيميائيات و التفكيكية،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء ، ٢٠٠٤ ، ص٣١ .

٧- شعيب حليفي،هوية العلامات العتبات و بناء التأويل،ط١، رؤية للنشر والتوزيع ،القاهرة ،٢٠١٥، ص١٢

٨- نفسه / ٢٤ .

٩- ينظر :محمد جديدي واخرون، إشراف محمد شوقي الزين، قراءات في فكر و فلسفة علي حرب.النقد الحقيقة والتأويل، ط١، منشورات الاختلاف ،الجزائر، ٢٠١٠ ، ص٥٣ .

١٠- د.حسين النعمي ،بعض التأويل مقاربات في خطابات السرد، ط١،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ٢٠١٣، ص٣٩ .

١١- نفسه / ٤٤ .

١٢- ينظر:ابنتسام بن حاج جيلاني ،العتبات النصية في رواية أنثى السراب لواسيني الاعرجي،رسالة ماجستير،جامعة الجيلان بو نعامة خميس مليانة، الجزائر، ٢٠١٦ ، ص٢٩

١٣- ينظر: د. خالد حسين حسين،في نظرية العنوان مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية،دار التكوين، دمشق ، ٢٠٠٧ ، ص٩٩- ١٠١ .

١٤- نفسه / ١٠٨ .

*بايبولار ، غادة عبود ، ط١، دار الطاووس ، مصر ، ٢٠١٨ .

١٥- مراسلة الكترونية مع غادة عبود يوم ٢٧/٨/٢٠١٨ .

١٦- منير البعلبكي ،المورد قاموس انكليزي عربي،دار العلم للملايين ،بيروت، ٢٠٠٦ ، ص١٠٦ .

١٧- د. لطفي الشربيني،معجم مصطلحات الطب النفسي،مؤسسة كويت للتقدم،سلسلة المعاجم الطبية المتخصصة، د.ت ، ص٢٠ .

١٨- ولات محمد، دلالات النص الآخر في عالم جبرا إبراهيم جبرا الروائي، وزارة الثقافة، دمشق، ٢٠٠٧، ص ١٧٣ .

١٩- عبد الخالق بلعابد، عتبات جيران جنيت من النص الى المناص، ط١، منشورات الاختلاف، الجزائر ، ٢٠٠٨ ، ص ١٦١- ١٢٧ .

٢٠- ويكيبيديا الموسوعة الحرة ،شبكة الانترنت : <https://ar.m.wikipedia.org>

٢١- مراسلة خاصة مع غادة عبود بتاريخ ٢٠١٨/٥/١٣ .

٢٢- ينظر:سمير شيخاني، علم النفس في حياتنا اليومية، ط٤، دار الافاق الجديدة،بيروت، ١٩٨١، ص ١٣٧ .

٢٣- نفسه / ١٣٦ .

٢٤- نفسه / ١٣٤ .

٢٥- فاطمة الشيدي، المعنى خارج النص، اثر السياق في تحديد دلالات الخطاب ،دار نينوى ، ٢٠١١ ، ص ٩ .

٢٦- بيارق.زيماء، النص و المجتمع آفاق علم اجتماع النقد، ترجمة أنطوان أبو زيد ، ط١، المنظمة العربية للترجمة، بيروت ، ٢٠١٣ ، ص ٣٢- ٣٣ .

٢٧- ينظر: السعودية تعدل نظام ولاية الرجل وناشطات يطالبن بإلغائه، شبكة الانترنت : <http://p.dw.com>

٢٨- ينظر: إحراق سيارة امرأة سعودية عقابا لها، : <http://p.dw.com/p/٣٠rvj>

٢٩- ينظر: د.ليلي احمد، حوار أجرته الهام مانع قضية المرأة السعودية هي قضية مجتمع <http://swinf٠.ch>

٣٠- ينظر: أنا ولية أمري. حملة السعوديات لإسقاط وصاية الرجل تتسع: <https://raseef٢٢.com>

المصادر والمراجع

- "ضياء راضي الثامري" العنوان في الشعر العراقي المعاصر أنماطه و وظائفه ،مجلة القادسية في الأدب والعلوم التربوية ، المجلد ٩ ، العدد ٢ (٢٠١٠) .

- ابتسام بن حاج جيلاني ،العتبات النصية في رواية أنثى السراب لواسيني الاعرجي،رسالة ماجستير،جامعة الجيلان بو نعمة خميس مليانة، الجزائر، ٢٠١٦.

- امبرتو ايكو ،التأويل بين السيميائيات و التفكيكية،المركز الثقافي العربي،الدار البيضاء ، ٢٠٠٤.

- بشرى البستاني ،قراءات في الشعر العربي الحديث، ط١، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ٢٠٠٢ .

- بيارق.زيماء، النص و المجتمع آفاق علم اجتماع النقد،ترجمة أنطوان أبو زيد ،ط١،المنظمة العربية للترجمة، بيروت ، ٢٠١٣ .

- د. خالد حسين حسين،في نظرية العنوان مغامرة تأويلية في شؤون العتبة النصية،دار التكوين،دمشق، ٢٠٠٧.

- د.حسين النعمي،بعض التأويل مقاربات في خطابات السرد،ط١،المركز الثقافي العربي ،الدار البيضاء ٢٠١٣.

— د.لطفى الشربيني،معجم مصطلحات الطب النفسي،مؤسسة كويت للتقدم،سلسلة المعاجم الطبية المتخصصة،د.ت.

- سمير شيخاني،علم النفس في حياتنا اليومية، ط٤،دار الافاق الجديدة،بيروت، ١٩٨١.

- شعيب حليفي،هوية العلامات العتبات و بناء التأويل،ط١،رؤية للنشر والتوزيع ،القاهرة، ٢٠١٥.

- عبد الخالق بلعابد،عتبات جيرار جنيت من النص الى المناص،ط١،منشورات الاختلاف،الجزائر ، ٢٠٠٨.

- عبدالحق بلعابد ، عتبات جيرار جنيت من النص إلى المناص ،ط١ ،منشورات الاختلاف ،الجزائر ، ٢٠٠٨.

-غادة عبود ، بابيلوار ، ط١، دار الطاووس ، مصر ، ٢٠١٨ .

- فاطمة الشيدي،المعنى خارج النص،اثر السياق في تحديد دلالات الخطاب ،دار نينوى ، ٢٠١١.

- ليندة جنادي ، و هبة مفتاحي ،سيمائية العنوان في روايات محمد مفلح قصص الهواجي وشعلة المائدة ، رسالة ماجستير،كلية الآداب واللغات - جامعة الجيلاني بو نعامة خميس مليانه ،الجزائر ،٢٠١٥.

- محمد جديدي واخرون، إشراف محمد شوقي الزين، قراءات في فكر و فلسفة علي حرب.النقد الحقيقة والتأويل، ط١، منشورات الاختلاف ،الجزائر،٢٠١٠.

- محمد فكري الجزار ،العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي ،الهيئة المصرية العامة للكتاب ،١٩٩٨.

- منير البعلبكي ،المورد قاموس انكليزي عربي،دار العلم للملايين ،بيروت، ٢٠٠٦.

- ولات محمد، دلالات النص الاخر في عالم جبرا إبراهيم جبرا الروائي،وزارة الثقافة،دمشق،٢٠٠٧.

الحوارات والمقالات

- إحراق سيارة امرأة سعودية عقابا لها: <http://p.dw.com/p/٣٠rvj>

- أنا ولية أمري.حملة السعوديات لإسقاط وصاية الرجل تتسع: <https://raseef٢٢.com>

- السعودية تعدل نظام ولاية الرجل وناشطات يطالبن بإلغائه،شبكة الانترنت : <http://p.dw.com>

- قضية المرأة السعودية هي قضية مجتمع ،حوار أجرته الهام مانع مع ليلي احمد <http://swinf٠.ch>

- ويكيبيديا الموسوعة الحرة ،شبكة الانترنت : <https://ar.m.wikipedi.org>